حياة شارع

تبيّن أن رحلتنا في حياة شارع الكفاح ستطول، لما يمتلكه هذا الشارع من تواريخ ورموز مهمة في حياة بغداد الحبيبة المجروحة كقلوب أبنائها ومحبيها.
لم يدر بخلد أبو جعفر المنصور أن المدينة التي بناها ستتعرض لكل هذا الدمار، فبعد إرهاب المغول تعج اليوم بإرهاب العناصر الظلامية الحاقدة على كل فرح فيها، وشارع الكفاح الذي دخلناه من محلاته وأولها باب الشيخ وتحدثنا عن تلك المحلة بما تستحق ولكن لم نتحدث عن شيخ شارع الكفاح ذلك الولي الصالح الذي نال رضا الله ومحبة الناس بعمله ودينه ونقاء تأريخه الطويل وكرامته التي جعلته قبلة المسلمين الزائرين له من جميع بلدان العالم.

((الحلقة الثالثة))

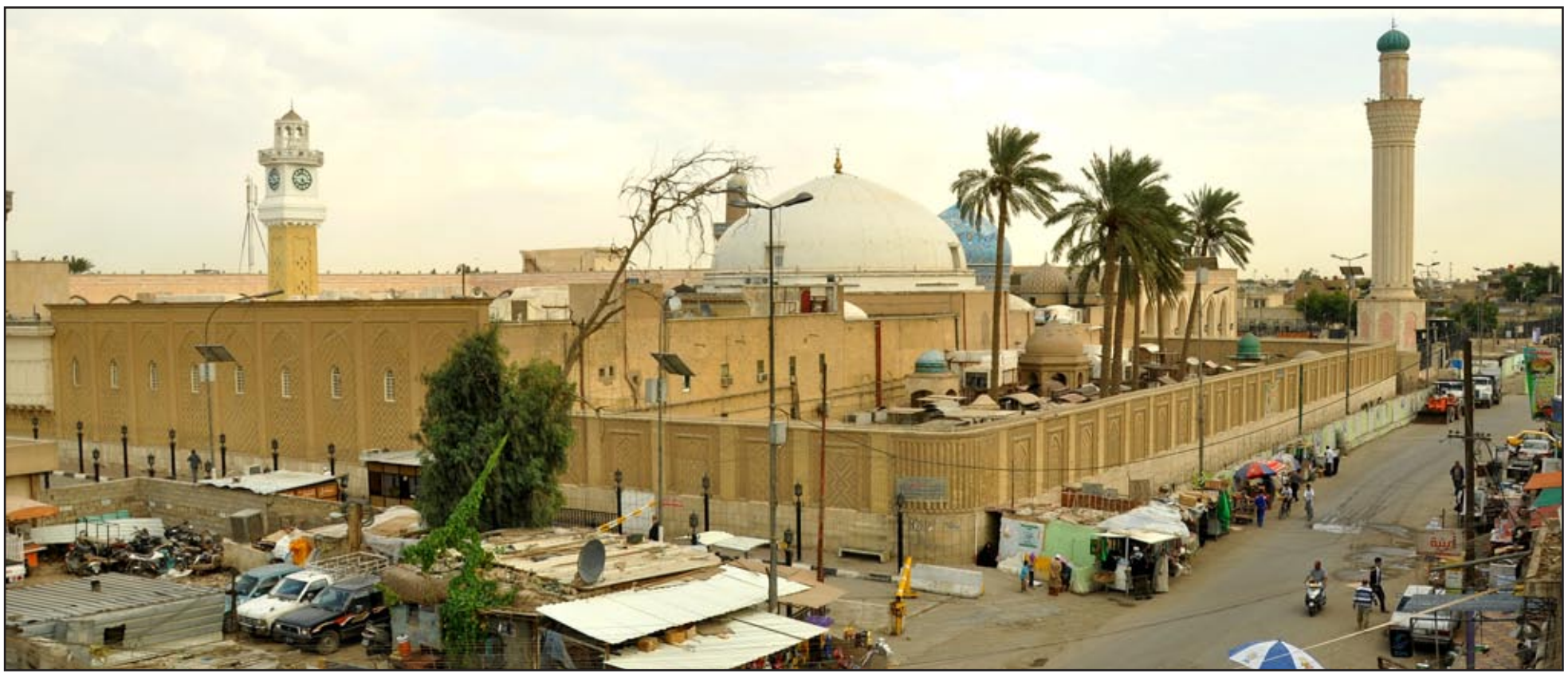

صورة من الخارج لمرقد الشيخ عبد القادر

مرقد الشيخ الكيلاني يلبس الكفاح ثياب الطهر والإيمان

علويّ الأصل.. فارسي المولد.. حنبلي المذهب

عكد الأكراد يتذكر انتفاضته على انقلاب ٨ شباط

□ بغداد/ يوسف المحمّداوي
□ عدسة/ أدهم يوسف

العودة إلى بغداد

انه الشيخ عبد القادر الكيلاني المولود عام ١٠٩٨ والمتوفى ١١٦٦ ميلادية، ويتصور البعض أنه فارسي من مدينة كيلان، لكن الحقيقة انه مولود في مدينة كيلان الواقعة شمال إيران على ضفاف بحر قزوين، ولكنه علوي الأصل ويرجع بالنسب الى الإمام الحسن (ع) بن الإمام علي ابن أبي طالب (ع)، فهو ابو صالح السيد محيي الدين عبد القادر الكيلاني بن السيد أبي صالح موسى بن السيد عبد الله بن السيد يحيى الزاهد بن السيد محمد بن السيد داود بن السيد موسى الجون بن السيد عبد الله المحض بن السيد الحسن المثنى بن السيد الإمام الحسن بن الإمام علي بن ابي طالب، وسبب ولادته في إيران أن عبد الله المحض وهو احد أجداده هاجر من العراق الى بلاد فارس وسكن في تلك المنطقة، لكن الشيخ عبد القادر عاد الى بغداد لغرض الدراسة، ودرس الشيخ عبد القادر في مدرسة الشيخ ابو سعيد المخزومي الكائنة في محلة باب الازج كما يقول الشيخ ابو احمد المقيم في الحضرة القادرية، وباب الازج هو محلة باب الشيخ الحالية، ومجيئه إلى بغداد كان في زمن تسود الفوضى فيه الدولة العباسية، حيث كانت الحملات الصليبية على الشام في ذروتها، ويضيف احمد أن الشيخ تفقه على يد مجموعة من شيوخ الحنابلة.

ثلاثون عاماً من الدراسة

ومن بينهم الشيخ ابو سعيد المخزومي، وتأثر كذلك بابي حامد الغزالي، فبرع في المذهب الحنفي وكذلك في الخلاف والأصول وقراءة الأدب وسماع الحديث على ايدي كبار المحدثين واستمر بالدراسة لمدة ثلاثين عاما ليدرس علوم الشريعة وأصولها وفروعها.
ويقول الشيخ احمد، وما أن رآه الشيخ أبو سعيد المخزومي يبرع في الدراسة، كلفة بالوعظ ثلاثة ايام في الاسبوع بمدرسته.
اما مدرسته القادرية فقد بناها عام ١١٣٣ وسميت باسمه وكان يفتي فيها على مذهبي الإمامين الشافعي واحمد بن حنبل، وكان يلقب بعدة ألقاب لورعه وعلمه مثل تاج العارضين و (محيي الدين)، وشيخ الشيوخ، ورزق بأولاد كثر حيث تقول الروايات بأن عددهم بلغ (٤٩) ولدا واشتهر منهم ثمانية فقط أعلمهم ولده الشيخ عبد الوهاب، وقد وصفه احد الشعراء (باز الله) حين قال:

إن باز الله سلطان الرجال
جاء في عشق ومات في كمال

وللشيخ الكيلاني وقف خاص يسمى بالوقف القادري كما يقول حجي فيصل عرب أما الوقف السني فهو للأشراف فقط.

مكتبة تضم ٤٠ ألف كتاب

وأنت تدخل الصحن القادري تذهل لروعة البناء ودقة التشييد حيث ستفاجئك المئذنة الكبيرة او البيضاء وتم تشييدها في العصر العباسي، والتأريخ (٩٠٤) هـ هو ليس للتشييد وإنما للتعمير، وتتصل المئذنة بالجناح المجاور بجسر بني بالطابوق على قوس مدبب، وعلى يسارك ستجد رواقا فسيحا، تكثر فيه الشبابيك الخشبية العالية وهو يعرف بالرواق الشرقي وتشير النصوص التأريخية انه بني عام ١٦٧٤ ميلادي، وبالإضافة إلى الرواق هناك حجرات لإيواء ضيوف الشيخ من الزائرين من جميع دول العالم، وجدت هناك زائرين من الهند وبنغلاديش وباكستان وجنوب إفريقيا وإيران وغيرها من دول العالم كما يقول احد خدمة المرقد وهو مصري الجنسية ويعمل في الحضرة القادرية منذ عشرين عاما، وهناك المكتبة التي تضم نفائس الكتب وتعد من اكبر المكتبات في الشرق الأوسط حيث تضم ٤٠ ألف كتاب في شتى العلوم فضلا عن المصاحف المذهبة كما يقول الحاج فيصل عرب.

طبيب أسنان من جنوب إفريقيا

ويقول باسم محمود وهو احد خدمة الحضرة ووظيفته مرافقة زوار الشيخ عبد القادر الذين يواكبون على زيارة مراقد الأئمة في الكاظمية والنجف وكربلاء وسامراء وكذلك زيارة سلمان باك، حيث فيها -كما يقول سمير- ثلاثة قبور وهي لحذيفة اليمان، وسلمان المحمدي وعبد الله بن جابر، ويبين سمير ان الزائرين القادمين من مختلف دول العالم يفضلون الإقامة في جناح الضيوف التابع للحضرة القادرية تبركا وتقربا لشيخ الكرامات، وهم يقدمون العطايا والأموال للمعوزين فضلا عن شرائهم وجبات أكل جاهزة للعوائل المتعففة، ويوضح سمير ان الزائرين حتى الفقير منهم لا يبخل بماله على المتعففين وخدمة الحضرة القادرية.
وأشار سمير إلى رجل كبير السن كان متوجها لجناح الضيوف قال انه دكتور أسنان من جنوب إفريقيا يقيم منذ عشرة أيام في الحضرة.
وأنا انظر الى باب خشبي كبير يعلو فوقه العلم التركي وهو بقايا الاحتلال العثماني للعراق، رغبت أن أبوح بشيء لهذا الباب الذي يعود بناؤه إلى عام ١٨٧٤ ميلادي فقلت ما قاله شاعرنا وليد حسين في قصيدته يا أيها المسبوك في قلق:

من أين أبدأ في المسير
وأنا المؤجج كالسعير
وانا المحجم من ضغوط
العيش من جهة المصير
فتحت عيني كي أراك
فكان قلبي في سطور
صبرا وبي وجع الثكالى
الراقصات على القبور

أملاك الوقف القادري

يقول سمير إن الوقف القادري لا يعتمد في أمواله على ما يقدمه الزائرون، وإنما هناك أملاك له، منها عدة بساتين في ديالى وكذلك محال في شارع الكفاح وكذلك محال شارع النهر والمنطقة المحيطة بالمرقد، ومتولي المرقد هو بيت النقيب الذي ينتمي لسلالة هذا الشيخ الطاهر المعرفي الروحاني.
ما يميز الصحن القادري هو وجود مئذنة الساعة التي شيدت بأسلوب مئذنة القشلة وهي روعة في العمارة الإسلامية، وقد تم تجديد البناء في الحضرة القادرية مرات عدة. وتجد على يسار الحضرة قبري الشيخين عبد الجبار وصالح أولاد الشيخ عبد القادر الكيلاني وعليهما بنيت قبتان رائعتان في العمارة.
تركنا الصحن وجلسنا في الحضرة القادرية لنستمع إلى كرامات هذا الشيخ الجليل وما أكثرها، والى يسار مرقده تجد هناك قبر أول رئيس وزراء للعراق المرحوم عبد الرحمن النقيب المتوفى عام ١٩٢٧ وقد خط على باب القبر هذه الأبيات الشعرية:

سيد من آل بيت
فيه آيات صريحة
قبره روضة خلد
وسط جنات فسيحة
نوره عمّ فأرخ
نور الله ضريحه

وخط كذلك اسمه؛ المرحوم عبد الرحمن ظهير الدين المحض القادري نقيب أشراف بغداد ورئيس الوزراء، وعند دخولك المرقد تتلذذ حتما بروائح وعطور الإيمان، وتملأ مسامعك ابتهالات وأدعية الزائرين التي تشكو إلى خالقها وتطالبه بواسطة مكانة الشيخ بتحقيق أحلامها، شيخ يذرف دموعه عند الحضرة وهو يسأل الله بالدعاء ويناشده بعودة ولده الوحيد الذي خرج من البيت ولم يعد، وآخر يطالب خالقه بالانتقام من قتلة أخيه الصغير الذي اغتالته المجاميع الإرهابية، الجميع يشكو ولا ندري إلى أيٍّ منهم كرامات الشيخ تلتفت.
خرجت من الحضرة متوجها إلى المنطقة المحاذية لمرقد الشيخ الجليل وهي محلة عكد الاكراد..
وانا اسير بالشارع الذكوري -وأقول الذكوري لخلوه من النساء- إلا في المنطقة القريبة من مرقد الشيخ فقد صادفت إحدى الزائرات الفاتنات، لم تمنعني شيبتي من الالتفات إليها مرات عدة وأنا اردد ما قاله محمود درويش:

لن اسميك امرأة
سأسميك كل شيء.

الكرد الفيليون

تركت الفاتنة لأمتع ناظري بعبق القدم وجمال بدأ يذوي مع غياب ابسط الخدمات عن الشارع، جلست في أحد مقاهي الشارع بعد أن مررت بحلويات داود التي تسبق حلويات جواد الشكرجي للقادم من مرقد الشيخ باتجاه عكد الأكراد.
السيد عباس العلوي وهو من أبناء العكد الذي كان يسمى في السابق (تبة الكرد) يقول ان العكد تأسس سنة ١٨٠٠ ميلادي وسكنته الأصليون هم من الكرد الفيليين الذين نزحوا من زرباطية ومندلي وغيرهما من مناطق العراق فضلا عن الكرد الذين جاءوا من منطقة (بشتكو) في ايران المحاذية لمحافظة ميسان وتعني ما وراء الجبال لان بشت (ظهر) كو (جبل)، حكم الأكراد الفيليون تلك المنطقة سبعة قرون والحاكم أصله من السادة العلويين يرجع نسبه إلى سيدنا العباس بن الإمام علي (ع) وكان اسمه كما يقول عباس (الأمير حسن خان)، لكن مع مجيء رضا شاه سنة ١٩١٤ لجأوا إلى هذه المنطقة لكونها موقع عمل يحتضن الشباب فيها، ولهؤلاء الكرد أملاك كثيرة في المنطقة منهم (حجي نوفاس) وحجي عباس، وجاسم نرمان، عبد الرحيم الفيلي وحجي علي جان، وكريم زريفة، فكانوا تجارا معروفين وحين بدأ التسفير قام صدام بمصادرة جميع أملاكهم.

شقاوات في الحزب الشيوعي

ويقول المواطن عباس إن عكد الاكراد شأنه شأن محلات باب الشيخ الأخرى في رفد المنتخبات الوطنية والأندية العراقية بالعديد من اللاعبين المتميزين من أمثال محمود اسد، واحمد اسد، وحسن اسد، وحارس المرمى المعروف انور مراد، وكذلك للمحلة أشقياؤها الذين يمتازون بالنخوة والدفاع عن المظلومين ونصرة الفقراء، بل ان بعضهم كان يأخذ الأموال من التجار اليهود ويوزعها على الفقراء مثل علي كزبان، وهناك أسماء عديدة أصبحت مضربا للأمثال مثل (إبراهيم عبدكه)، جاسم محمد سوزه، وياره، كاظم علیار، جواد علیار، (ابي خالكه)، وشاكر شمة، وعلي شمة وحجي جمعة وكانوا اغلبهم من الشيوعيين والوطنيين، الا ان بعضهم ترك الحزب الشيوعي وانتمى للحزب الديمقراطي الكردستاني كما يقول العلوي.

ذكريات أموري

فيما يروي مناف فتاح محمود زنكنة وهو بائع كتب في شارع المتنبي ومن سكنة المنطقة، أيام الانتفاضة التي قام بها الكرد الفيليون بعد انقلاب شباط عام ١٩٦٣، مذكرا بأن الانتفاضة استمرت لمدة ٧ أيام وقام الجيش بدخول المنطقة بالدبابات والمدرعات، واستشهد العديد من ابناء المنطقة الذين قاوموا الجيش والجهات الأمنية بالأسلحة الخفيفة وقناني المولوتوف، وبعد اخماد الانتفاضة التي قامت نصرة للزعيم عبد الكريم قاسم والتي قام بها الشيوعيون والوطنيون في حينها، أصدرت الحكومة آنذاك تعديلا لقانون الجنسية رقم ٤٦ عام ١٩٦٣ والذي استهدف الكرد الفيلية وكذلك تم اعتقال العديد من الشخصيات المهمة في المنطقة.
فيما يرد المواطن عبد الأمير من مواليد ١٩٦٣ والمعروف بالمنطقة باسم (اموري)، ذكريات عن المحلة وكيف كان العرب والكرد يعيشون في قمة التآخي والود، لا يوجد فرق بين شيعي أو سني، الجميع ينشدون الحياة ويتابعونها بحميمية وحب، ويستغرب مما يحدث الآن، مؤكدا ان الكثير من العوائل العربية كانت تتقن اللغة الكردية وتتحدث بها أيام الزيارات والأعياد، وعن دور التجار في دعم الفقراء انذاك يقول اموري ان التجار يدعمون العوائل المتعففة فمثلا هناك التاجر احمد أبو حسن وهو من أوائل تجار بغداد وقام ببناء حسينية للمنطقة لان مراسيم العزاء كانت تقام في البيوت فتم نقلها الى الحسينية، وقام ببناء مدرسة مؤلفة من صفين بداخلها، وأنا كنت احد تلاميذ مدرسة الحسينية، فضلا عن وجود مدرسة الكرد الفيليين التي اصبح مديرها الاستاذ شهاب الذي درس الطب فيما بعد وأصبح طبيبا ثم هاجر الى ألمانيا وتوفي هناك كما يقول اموري ويذكر انه مع قيام ثورة الزعيم كما يسميها كنا نغني جميعا:

حيك يالواء الركن حياك
عرب واكراد كل الشعب يفداك

ويقول اموري إن من اشهر المقاهي هي خداداي ابو شكر حيث تعج بأبناء العكد من اربعينيات القرن الماضي، وهناك حمام (حسين حوار) وهو نسائي رجالي، ويذكر أموري انه لا وجود للساعة اليدوية أيام زمان، فكان الناس يستيقظون صباحا على صوت مضخة ماء في العبخانه تصدر صوتا مدويا يوقظ النائمين، وعن أسباب تسمية جامع المصلوب يقول أموري انه في مكان الجامع قتل احد الجنود الأتراك زميله التركي وتم إعدامه في هذا المكان فذهبت التسمية إلى هذا الاسم.
ولم يغب عن بال اموري شربت السيفون وكذلك شربت الناموليت، وبسبب ذكره تلك الايام الجميلة تذكرتُ أيام ظهور شراب المشن الذي سبقه السفن آب بفترة وجيزة كنا نردد هذه الاهزوجة:

سفن آب لا تنقهر..... تره المشن منريده

انتفاضة عكد الأكراد بعد انقلاب شباط عام ١٩٦٣ استمرت لمدة ٧ أيام، وقام المواطنون باستخدام الأسلحة الخفيفة والمولوتوف ضد الدبابات والمدرعات.

صورة لعكد الأكراد

حلويات بغدادية

الصحن القادري

■ والى حلقة أخرى من حياة شارع الكفاح